المحاضرة رقم 02: أشكال السيرة.

مقدمة:

تعد السيرة أحد أهم المحطات التي لها صلة وثيقة بالتاريخ وعلى أساسها يبرم الأدب علاقة اتصال بالتاريخ فيتكون المركب الحضاري للأمة، بصورة واقعية موثقة بعين الحقيقة، وعلى اثر هذه العلاقة بين الأدب والتاريخ أصبحت السيرة بكل أنواعها وأشكالها تتطور وفق التغيرات التاريخية الحاصلة في كل زمان ومكان.

أ-السيرة التاريخية: بما أن السيرة كانت في بدايتها الأولى وغايتها مجرد تاريخ ولكن في فترات متقدمة من مراحلها انفصلت عن التاريخ ولكنها لم تفقد أهميتها وجاء **إحسان عباس** ليبين هذه العلاقة الوثيقة بين السيرة الذاتية والتاريخ: " قائلا:" كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وأعماله متصلة بالأحداث العامة ، أو منعكسة منها، أو متأثرة بها، فإن السيرة تحقق غاية تاريخية [1]"،ويقول **أحمد أمين في كتابه "حياتي** "لماذا_ إذن. لا أُؤرخ حياتي، لعلها تصور جانبا من جوانب جيلنا، وتصف نمطا من أنماط حياتنا، ولعلها تفيد اليوم قارئا وتعين غدا مؤرخا ، فقد عنيت أن أصف ما حولي مؤثرا في نفسي متأثرا مما حولي"[2] وفي هذا لا يمكن أن نقول أن السيرة ذاتية متطابقة مع التاريخ في كل شيء بل ترسم صورة واضحة عنه مع سقوط بعض الأمور مثلا السيرة الذاتية تحتاج ذاكرة فقط فحين يحتاج التاريخ الى أوراق علمية و شهادات موثوقة وهنا يظهر الفرق جليا بين التاريخ والسيرة ،وان فقدت هذه الأخيرة أي السيرة الذاتية عنصر التاريخ تصبح مجرد إخبار يراد به المنفعة العامة وتبقى أقوى سيرة عند العرب المسلمين هي السيرة التاريخية لأن المؤرخين المسلمين كانوا يرون أن التاريخ ليس إلا سير الحاكمين"[3] مثل سيرة عمر بن الخطاب و عمر بن عبد العزير وصلاح الدين ... فكلهم كتبت سيرهم لأنها عظيمة الشأن ولها تأثير في التوجيه الخلقي .على عكس بعض السير التي كتبت بطلب من أصحابها من أجل تخليد الاسم للشهرة وهي لا تقدم إضافة للبشرية كسيرة ابن **طولون** وهو أبو العباس أحمد بن طولون المولود في 220ه 884م و هو أمير مصر و مؤسس الدولة الطولونية في مصر و الشام و كسيرة **الاخشيد** محمد بن طغج وهو مؤسس الدولة الاخشيدية واطلق عليه هذا الاسم من قبل الخليفة العباسي أبو العباس محمد الراضي بالله عو الاخشيد هو لقب فارسي و التي كتبت بطلب من ابنه فلضعفها لم تتجه لها همة المؤرخ فكانت غاية السيرة تجمع بين المنفعة الخلقية و المتعة الأدبية في زاوية أخرى من أجل التطلع الى التاريخ .

كما جاءت بعض النصوص التي لا ترتقي الى ما يعرف بالسيرة لأن نصوصها لا تعتمد غاية معينة مثل توثيق أخبار تاريخية أو الامتاع أو توجيه للبشرية و مواضيعها مجرد اخبار سماها الاخباريون بسير " **عقلاء المجانين** " وأبرز من اشتهر بكتابة عقلاء المجانين المدائني كتب كتاب في هذا الشأن وكان نموذج كتب على شاكلته الكثير من برعوا في مثل هذا النوع الذي يعتمد موضوعها في أغلبه على قصص ومغامرات للعشاق مع محبوباتهم، كما تدور

---

[1] احسان عباس : فن السيرة ، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م، ص11

[2] أمين أحمد: حياتي ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ط6، 1978م، ص7

[3] احسان عباس: فن السيرة، ص27

أخبارها عادة حول شخصية واحدة، ولا يرتفع فيها الحوار الى اللغة الفصحى بل يعتمد اللغة الدارجة أو المحلية ، تجنح في أحايين كثيرة الى الخيال ومن أمثلة من كتبوا وبرزوا في هذا النوع كتاب أخبار **ابن سيبويه المصري لابن زولاق** عندما كان ابن سيبويه موسوعي الثقافة والأخبار كان من الرجال الذين يعتريهم طائف الجنون سريع القول كلما اجتمع الناس من حوله و أثاروا غضبه يقول كلاما مسجوعا يثير الناس من حوله فلا يسلم الحاكم ولا الوزير ولا الفقير من لذاعة رده ودماثة جوابه و كان جل هذه السير التي كتبت عن ابن سيبويه و الاخشيد قد ضاعت سوى جزء صغير من سيرة سيبويه التي وثقها ابن سعيد الأندلسي في كتابه المغرب .

ب-السيرة الخيالية: مالت السيرة عن طبيعتها الأولى التي نشأت عليها كانطلاقها من عالمها الواقعي الملبس بأحداث حقيقية و تحولت الى قصص بطولية ، مثل الكثير من السير العربية التي عمرت طويلا في الذاكرة الإنسانية وبقيت راسخة مثل سيرة "عنترة وسيرة سيف بن يزن وأشباهها، وأهم مميزات هذه السيرة هو النقص الواضح المتمثل في المبالغة في جعل البطل خارق القوى و نموذج للقوة والجبروت؛ "أي لا تجعل للبطل قيمة إلّا البطولة، ولا تُعنى بحياته الطبيعية، بل تفيض عليه من الخيال ما يجعله "مثالا" أو أنموذجًا عاليًا للشجاعة [1]. وبمعنى أدق السيرة الخيالية تجعل من البطل متفردا في قوته والغرض لا أن توثق لهذا البطل، بل لتجعل من فعله أو عمله عمل يحتذى به مع إضفاء جانب من الخيال على هذه الأفعال البطولية

ج-سيرة المتصوّفة: سيرة المتصوفة هي سير تدور مواضيعها عن الاخرة والزهد فيها والابتعاد عن ملذات الحياة الزائلة مثل ابن **زولاق** الذي كان بارع في الحديث عن مواضيع الدنيا اهتمّ أصحاب هذه السيرة بالكرامات وابتعدوا عن دائرة الواقع وتوجّهوا إلى الابتعاد عن تصوير الحياة الإنسانية التي هي معرض للضعف والقوّة، فكانت جل مواضيع المتصوفة جافة غير واقعية تصور مواطن الضعف والقوة وثنائية الخطأ والصواب والخير والشر

د_السيرة الفكاهية الهزلية:

مثل سيرة ابن سيبويه هي سيرة يتقرب فيها سيبويه الى الواقع وهو يكتب عن هذه الشخصيات لكن بطابع هزلي فكاهي حيث أدخل في هذه السير شخصيات كوميدية. مثل أشعب وجحا وكان اللجوء الى هذه الشخصيات المتميزة من أجل اثارة الامتاع والفكاهة التي يستدعيها مقام السمر ومجالس الأنس كيف لا وهي أماكن للراحة والتنفيس عن منغصات الحياة. وقد عمد كاتب هذا النوع من السير الى استحضار شخصيات كوميدية مثل اشعب و جحا.

فهناك أنواع من السيرة في مراحل تطوّرها الأولى، وعبر هذا الخط التطوّري، بدأت بوادر السيرة الفنية الذاتية الروائية تظهر وتتأكّد يومًا بعد يوم إلى أن برزت إلى الوجود الأدبي[2]. بمعنى هذه الأنواع كانت الدرب الذي سارت على أرضه خطوات التطور والبروز لما يعرف بالسيرة الفنية الذاتية

بعض الأنواع الأدبية التي تتدخل ضمن أشكال السيرة ومنها:

---

[2] ينظر احسان عباس : فن السيرة، ص1، 9

أ-اليوميات: هي "سجل للتجربة اليومية يكتبها صاحبها يومًا بيوم، ويدوّن فيها ملاحظاته بالنظام الذي وقعت به الأحداث التي شاهدها أو كما رويت له من شهود عيان، ويسجّل كاتبها اتّجاهاته إزّاء الأحداث التي تتلاحق بسرعة متزايدة ويرتّبها ترتيبًا زمنيًا قد يكون متسلسلًا أو متقطّعًا حسبما تيسّر له، أمّا الدافع إلى كتابتها فيكمن في رغبة الإنسان في أن يسجّل اتّجاهاته الدائمة التغيّر في عصر تجري فيه الأحداث بسرعة متلاحقة" (1)

خصائص اليوميات:

_ انه يتم كتابتها يوما بعد يوم؟

_اتصال اليوميات بالحدث الخارجي او الشخص الذي تنصب عليه؟

_اليوميات لا تحتاج الى بداية ولا نهاية و لا عقدة و لا موضوعا بعينه و لا تطويرا، بل تتم بطريقة روتينية وثابتة و متباطئة

_ الحضور الشخصي للمتكلم وهو نفسه كاتب اليوميات

أهمية اليوميات وعيوبها ومحاسنها:

_ ويرى أحمد آل مريع:" أنّ أهمّية اليوميات تكمن في الاستعانة بها في كتابات أخرى إذ يقول: «والأصل في اليوميات أن تكون خاصّة بصاحبها يستعين بها في كتابات أخرى كـ: الرحلات أو القصص، والتأريخ للحياة... بأسلوب أكثر تنظيمًا واستيعابًا للتفاصيل في رؤية شاملة وواعية، وما ذلك إلّا لأنّها أعجز من أن تقف وحدها على قدميها لضعف المادة ونضوب الحيوية فيها" (2).

_ جنوح اليوميات كنوع ادبي الى التأريخ التسجيلي

كما أنّ خاصية التأريخ التسجيلي فيها «يفقدها جانبًا كبيرًا من جمال الصياغة وفنية التصوير وحياكة المواقف والأحداث حياكة درامية متماسكة» (3).

في الوقت الذي تسجّل فيه نقاط الضعف على اليوميات نطالع آراء أخرى تحاول التأصيل لهذا النوع من الكتابة حين تعدّه أكثر امتاعًا وطرافة، وتكاملًا من الناحية الموضوعية، كما أنّ فيها مساحة من الحرية إذ تسجّل الأحداث في فترات متقاربة، وهو ما يسدّ كثيرًا من الفجوات التي يخلقها الزمن وتباعد فترات التسجيل في فنون أخرى كما لا ننكر ما فيها من عمق الإحساس بالزمان والمكان (4).

إضافة إلى ذلك تعتبر اليوميات وباتفاق الدارسين في هذا المجال أصدق وأأمن ما يمكن الرجوع إليه لتدوين الوقائع والتفاصيل وكذا المشاعر التي يعيشها الكاتب أثناء تدوين هذا الحدث أو ذاك.

ج-الاعترافات:

1- علي عبده بركات: رواد السيرة الذاتية من إفرنج وعرب، مجلة العربي، غ165، أوت 1972، ص162، نقلا عن أحمد آل مريع: السيرة الذاتية، ص67.

2-أحمد آل مريع: السيرة الذاتية، ص69.

3- المرجع السابق: أحمد آل مريع: السيرة الذاتية، ص69.

4-ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وفن، ص230.

وهي نوع أدبي يعري النفس البشرية كونها مكمن من الأسرار التي يتحفظ عليها الانسان فلا تكون له رغبة بالإفصاح عنها حتى ولو كان لأقرب الناس الى روحه، وهذه الاعترافات قد تنجم عن تراكمات عدم التنفيس عن النفس "

الحصة التطبيقية الثانية اشكال السيرة في كتاب نفح الطيب للمقري

_ماهي سيرة المقري؟ و ما شكلها هل هي ذاتية أم غيرية وماهي طبيعتها هل هي خيالية واقعية صوفية فكاهية هزلية وان كانت كذلك فيجب الشرح والتوضيح؟

_نفح الطيب مع الشرح الدلالي لهده العتبة النصية؟

_ماهي دوافع كتابة هذا الكتاب ؟

ماهي أهم الأشكال السيرية التي يمكن أن نطبقها ؟